اتجهوا ، مع وصولهم الى فلسطين ، الى اقامة ما سموه « المجتمع الصهيوني العمالي » في البلد · وفي غمرة نشاطهم هذا ، اقام اولئك العمال فرعا لحزبهم « بوعالي تسيون » (عمال صهيون) ـ الذي كان قد نشأ في روسيا اصلا ـ في فلسطين (٢١) ، وانشأوا المؤسسات التنظيمية والتعاونية (٢٢) ، وحتى « العسكرية » (هاشومير) (٢٣) ، على اختلاف انواعها · كما رفع اولئك العمال ، في محاولة لتبرير وجودهم في فلسطين من جهة وللرد على صعوبات استيعابهم في البلد ومنافسة العمال العرب لهم من جهة ثانية ، شعار « العمل العبري » ، ودعوا الى « احتلال العمل » و « احتلال الارض » من ايدي العرب (٢٤) ، باعتبار ان ذلك ضروري لاقامة الكيان الصهيوني المستقل في فلسطين ، اذ ان الارض ستكون في النهاية « ملكا لمن يفلحها » · وكان ابناء الهجرة الثانية هم الذين ارسوا ايضا الاسس للمستوطنات الجماعية اليهودية في فلسطين ، من صنف الكيبوتس (٢٥) ، على اختلاف اشكاله ، الذي تحول فيما بعد الى رأس حربة الاستيطان الصهيوني في فلسطين خلال ايام الانتداب، ولا يزال يقوم بدوره هذا ، الى حد ما ، حتى اليوم · اما المؤسسات الاخرى ، التي اقامتها الهجرة الثانية ، فقد نمت وكبرت وتشعبت ، مع مرور الزمن ، واصبحت بمثابة ركائز للكيان الصهيوني في فلسطين ، وساهمت بشكل فعال في اقامة اسرائيل ·

وعلى كل حال ، ومهما كانت اهمية مؤسسات الهجرة الثانية ، فمن الواضح ان مجرد اقامتها ، في الظروف التي تم فيها ذلك ، قدمت للقادة والمنظرين الصهيونيين درسا سياسيا مهما ، لم يكن باستطاعتهم نسيانه · لقد اقيمت تلك المؤسسات في ظل الحكم العثماني لفلسطين ، الذي لم يكن مغروفا بنزاهته او ديمقراطيته او حسن ادارته ـ بل لعل العكس هو الصحيح ـ وذلك بواسطة اتباع الطرق غير المباشرة واساليب الرشوة والتهديد والترغيب والضغوط الخفية دون المطالبة بضمانات سياسية علنية ، وفقا لتعاليم الصهيونيين « السياسيين »، او الاعلان عن المواقف والاهداف النهائية على رؤوس الاشهاد · وكانت العبرة التي استنتجتها الصهيونيون من ذلك هي ان الواقعية والمرونة من جهة والاعتماد على النفس من جهة اخرى ، ليست بالسبل التي يجوز التغاضي عنها لتحقيق اهداف الصهيونية · ولم يساعد ذلك ، بالطبع ، على انتشار الافكار « اليمينية » المتصلبة ، المتجانسة مع منطلقات التيار الصهيوني « السياسي » ، او ازدياد عدد المؤمنين بها ، اذ ثبت بالوقائع الملموسة ان نظرية الصهيونية « العملية » اكثر ملائمة للواقع ·

واذا كانت هذه هي العبر التي استنتجها الصهيونيون من نشاطهم في فلسطين ، خلال السنوات العشر التي سبقت الحرب العالمية الاولى ، فقد جاءت